نشأة دراسة اعجاز القرآن وتطورها

نشأة دراسة الاعجاز:

ترجع نشأة فكرة اعجاز القرآن الى أوائل نزوله وذلك لكونه معجزة النبي الكبرى، الدالة على صدق نبوته، بيد أن موضوع الاعجاز القرآني لم يتخذ شكلا موضوعيا وفنيا آنذاك، لأن العرب أدركوا اعجازه بفطرتهم العربية السليمة، ولهذا كانوا بازائه فريقين:

ـ فريق أصاخ للحق وأعلن استسلامه، فآمنوا به وهم الرعيل الأول ومن تلاهم من الصحابة الكرام.

ـ فريق تولى عن معارضته وأقر بسكوته بهزيمته، جحد الحق كبرا وعنادا.

أولا:أسباب دراسة الاعجاز القرآني:

مضت سنوات كثيرة بعد نزول القرآن ومسألة الاعجاز لم تتخذ شكلا دراسيا ومنهجا فنيا، ثم جاء بعدها عهد تدريس العلوم الاسلامية فدخل الاعجاز في تلك الفترة طورا جديدا، فبدأ البحث في نصوص القرآن وعلومه، ونالت مباحث اعجاز القرآن قسطا كبيرا من جهود العلماء وكان ذلك في أوائل القرن الثاني الهجري، وكان لهذا التطور أسباب وهي:

١. ابتعاد الناس عن عصر الفصاحة التي كان عليها الناس في زمن نزول القرآن، وما تسبب عنه من ضعف الملكة اللغوية، والتذوق الفطري لفنون البلاغة وأساليب البيان. واختلاط العرب بغيرهم نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى نتيجة دخولهم في الاسلام، فكان هذا سببا في تحول فهم الاعجاز عن الادراك الفطري والتذوق الطبعي، الى الادراك النظري المتأتي نتيجة البحث والدراسة.
٢. مواجهة التيار المضاد والحركات الطاعنة في النص القرآني، بدعوى وجود التناقض والضعف في أسلوبه، حيث ضم المجتمع الاسلامي كثيرا من الأعراق والأمم كان فيهم ديانات مختلفة وظهر منهم زنادقة ومشككون انبرى لهم علماء الاسلام ولا سيما علماء الكلام واللغة ومن أبرزهم رجال المعتزلة كالنظام والجاحظ ومن رجال اللغة أبو عبيدة والفراء وغيرهم من بقية علماء الأمة للدفاع عن العقيدة وابطال شبهات ومزاعم الشعوبيين والملاحدة والزنادقة. فكانت الغلبة لعلماء الأمة بالحجة والبرهان، وأخمدت تلك الفتن الفكرية في مهدها مبكرا.
٣. اثبات نبوة نبينا محمد ﷺ لأن الاعجاز القرآني هو الدليل الأعظم على صدق المدعي واثبات النبوة. والايمان بنبوة محمد ﷺ أصل من أصول العقيدة الاسلامية، وكن لهذا السبب الأثر الفعال في نشأة دراسة الاعجاز وتوسع البحث فيه.

ثانيا:اتجاهات البحث والتصنيف في اعجاز القرآن:

اتخذ البحث والتصنيف في اعجاز القرآن اسلوبين:

الأول: دراسة مسألة اعجاز القرآن بطريق غير مباشر، وذك من خلال الدفاع عن نظم القرآن وأسلوبه، ودفع الشبه والطعون الموجهة اليه.

الثاني:دراسة اعجاز القرآن دراسة مباشرة، فكتبت في ذلك فصول، ووضعت مصنفات، وتطور درس الاعجاز من خلال اتجاهين:

الاتجاه الأول:البحث غير المباشر في الاعجاز: وذلك من خلال جهود علماء اللغة والنحو المدافعين عن القرآن والرد على شكوك وأباطيل الزنادقة والملحدون الذين كانوا يبغون الاتيان على بيضة الاسلام وهي القرآن.

ومن أبرز هؤلاء العلماء الفراء وكتابه(معاني القرآن)، وابو عبيدة في كتابه(مجاز القرآن)، وجاء بعدهما الجاحظ فوضع عددا من الكتب والرسائل ومنها(البيان والتبيين، الحيوان، حجج النبوة)، ثم ابن قتيبه وكتابه(تأويل مشكل القرآن).

الاتجاه الثاني:البحث والتصنيف المباشر فيه: وقد جاء على طريقتين:

الأولى:التصنيف غير المستقل، ويعني بحث مسائل الاعجاز ضمن مباحث مختلفة تتعلق بالقرآن أو العقيدة، كما جاء في كتب علم الكلام مثل كتاب(الارشاد)للجويني و(أصول الدين) للبغدادي، أو في مقدمات التفاسير مثل تفسير القرطبي، او ضمن مباحث علوم القرآن كما فعل الزركشي في كتابه(البرهان في علوم القرآن)، والزرقاني في كتابه(الاتقان في علوم القرآن).

الثانية:التصنيف المستقل: ظهرت خلال القرن الثالث الهجري وما تلاه كتب في الاعجاز منها(اعجاز القرآن)لأبي عبدالله بن يزيد الواسطي و(دلائل الاعجاز)لعبد القاهر الجرجاني، و(اعجاز القرآن)لأبي بكر الخطابي، و(ثلاث رسائل في اعجاز القرآن)للرماني والخطابي والجرجاني.

وبذلك انفتح باب التأليف في اعجاز القرآن، ونالت مباحثه اهتمام العلماء، وأصبح علما يدرس في حلقات الدروس كبقية العلوم الأخرى.

واذا كان العلماء قد اتفقوا على اعجاز القرآن فقد اختلفوا في تحديد الوجه المعجز فيه، وتعددت وجهات نظرهم، فهل هو معجز بلفظه أو بمعناه؟ أو هو معجز ببلاغته؟ أو معجز بنظمه؟ او بما جاء فيه من أخبار؟ أو بما احتواه من تشريعات وأحكام؟ أو بايقاعه وتأثيره في النفوس؟ أو بغير ذلك مما يطول من آراء في اعجازه قال بها العلماء؟